

بنية السرد في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي — تطبيق في ضوء
خطاب الحكاية لجيرار جنيت

The Narrative Structure in Risālat al-Tawabi‘wa al-Zawabi‘ by Ibn al-Shuhayd al-Andalusi: An Application in Light of Gérard Genette’s
Narrative Discourse

بن ناصر سارة*

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها

في المغرب العربي،

bennacer.sarah3113@gmail.com

محضر وردة

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

mahcer.ouarda@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026-04-02

تاريخ القبول: 2026-05-31

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة البنية السردية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي في ضوء مفاهيم جيرار جنيت، خاصة الزمن السردية، والرؤية السردية، ومستويات السرد. وقد اعتمد على تحليل تطبيقي مدعم بشواهد نصية، أبرز من خلاله تداخل المستويات السردية وتنوع الرؤية وتشكل الزمن داخل النص، من خلال توظيف آليات مثل الاسترجاع والتفصيل والتكرار. كما أظهر البحث أن النص يقوم على بنية سردية مركبة تجمع بين السرد الإطاري والحكايات الداخلية، بما يعكس وعيا فنيا في بناء الخطاب السردية. وخلصت الدراسة إلى انسجام النص التراثي مع أدوات السرد الحديثة، مع احتفاظه بخصوصيته في المنهج بين الحكاية والجدل النقدي، مع الإشارة إلى حدود تطبيق هذه النظرية في ظل اختلاف السياقات الثقافية، واقترح آفاق بحثية لتوسيع التحليل السردية نحو نصوص تراثية أخرى.

الكلمات المفتاحية: سرد أندلسي؛ رسالة التوابع والزوابع؛ جيرار جنيت؛ مستويات السرد؛ نقد أدبي

Abstract:

This article aims to investigate the narrative structure of Risalat al-Tawabi‘wa al-Zawabi‘ by Ibn al-Shuhayd al-Andalusi using Gérard Genette’s concepts of narrative time, perspective, and narrative levels. Based on an applied analysis supported by

* - المؤلف المراسل.

textual evidence, it highlights the interplay of narrative levels, the diversity of perspectives, and the shaping of time through techniques such as analepsis, elaboration, and repetition. The study concludes that the text aligns with modern narratological tools while maintaining its distinctive blend of storytelling and critical discourse, and it points to the limits and future prospects of applying such theories to classical Arabic texts.

Keywords: Andalusian narrative; Risālat al-Tawābi‘ wa al-Zawābi‘; Gérard Genette; Narrative levels; Literary criticism

مقدمة:

يعد السرد أحد أهم المكونات التي تشكل هوية النص الأدبي، إذ يتيح للكاتب بناء عالم متخيّل قادر على احتضان الأفكار والقضايا النقدية والفكرية. وقد شكّل التراث العربي، بما فيه الأدب الأندلسي، مجالاً خصباً لتجارب سردية متنوعة تجمع بين الحكاية والجدل النقدي، كما هي الحال في رسالة التوابع والزوابع لابن الشهيد الأندلسي. هذا النص التراثي، الذي يجمع بين الخيال والواقع، يفتح المجال أمام إعادة قراءته في ضوء أدوات التحليل السردية الحديثة التي وضعها جيرار جنيت، مثل مفاهيم الحكاية والخطاب والسرد، والزمن السردية، والرؤية السردية، ومستويات السرد.

إن دراسة هذا النص من منظور حديث لا تهدف فقط إلى الكشف عن بنيته الفنية، بل أيضاً إلى إبراز مدى انسجام النصوص التراثية مع المناهج النقدية المعاصرة، وإظهار خصوصية السرد الأندلسي مقارنة بالنصوص الأخرى في التراث العربي. كما تتيح هذه المقاربة الوقوف عند حدود تطبيق نظرية جنيت على نصوص كُتبت في سياق ثقافي مختلف، واقتراح آفاق بحثية مستقبلية لتوسيع دائرة التحليل السردية نحو نصوص تراثية أخرى.

تعد رسالة التوابع والزوابع لابن الشهيد الأندلسي واحدة من أبرز النصوص السردية في التراث العربي الوسيط، إذ تمثل تجربة أدبية فريدة تجمع بين الطابع القصصي والبعد النقدي في آن واحد. فهي ليست مجرد حكاية خيالية عن الجن

والشياطين، بل نصٌ يتجاوز حدود التسلية ليعكس رؤية الكاتب لمكانة الأدب والشعر في المجتمع الأندلسي، ويقدم صورة عن التفاعل الثقافي والفكري في عصره¹.

تكمّن أهمية هذا النص في كونه يفتح المجال أمام دراسة البنية السردية في الأدب الأندلسي، ويتيح إمكانية مقارنته بالمنهج السردية الحديثة، مثل نظرية الحكاية عند جيرار جنيت، مما يثري البحث الأدبي ويؤكد قدرة النصوص التراثية على الانفتاح على أدوات التحليل المعاصر. ومن هنا تأتي قيمة هذا البحث في إبراز تداخل الماضي بالحاضر، وإعادة قراءة نصوص قديمة بعيون نقدية حديثة.

تثير رسالة التوابع والزوابع لابن الشهيد الأندلسي سؤالاً نقدياً أساسياً: كيف يمكن التعامل مع نص تراثي عربي، كُتب في سياق ثقافي وأدبي مختلف، بأدوات التحليل السردية الحديثة التي وضعها جيرار جنيت؟ فالنص يجمع بين الطابع القصصي والبعد النقدي، ويطرح تحدياً في تحديد مستويات السرد، وطبيعة الراوي، وزمن الحكاية. ومن هذا المنطلق فإننا نصل إلى طرح إشكالية البحث بالشكل التالي: إلى أي مدى يمكن تطبيق مفاهيم جنيت (الحكاية، والزمن، والرؤية السردية) على هذا النص التراثي، وما الذي يكشفه ذلك عن خصوصية السرد الأندلسي؟

ومن الفرضيات التي تبني عليها هذه الدراسة أن مفاهيم جيرار جنيت قابلة للتطبيق على رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مع إبرازها في الآن نفسه لخصوصية السرد الأندلسي من حيث تداخل الواقعي والمخيّل وتعدد الرؤية السردية.

وعليه فإن هذا البحث يهدف إلى الكشف عن البنية السردية في رسالة التوابع والزوابع لابن الشهيد الأندلسي، من خلال تحليل عناصرها وفق أدوات جيرار جنيت السردية، مثل الزمن، والحكاية، والرؤية السردية. كما يسعى إلى قياس مدى انفتاح النص التراثي على التحليل السردية الحديث، وإبراز إمكاناته في التفاعل مع المنهج النقدية المعاصرة. وبذلك يطمح البحث إلى إعادة قراءة النص التراثي بعيون جديدة، تكشف عن ثرائه الفني وتؤكد قيمته في تاريخ السرد العربي.

¹ مولاي، سناء، التحليل السردية عند جيرار جنيت، مجلة النص، 2015.

1- الخلفية العامة لرسالة التوابع والزوابع

1.1- التعريف بالمؤلف ابن الشهيد الأندلسي وسياق الرسالة

ابن الشهيد الأندلسي هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأشجعي (توفي سنة 426هـ/1035م)، أحد أبرز أدباء الأندلس في القرن الخامس الهجري، ويُعدّ رائدًا في المزج بين السرد الأدبي والخيال النقدي. رسالته الشهيرة *التوابع والزوابع* تمثل نصًّا فريدًا في التراث الأندلسي؛ لأنها تجمع بين الحكاية الخيالية والجدل النقدي حول الشعراء والكتّاب¹.

ينظر إلى أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأشجعي الأندلسي على أنه من أعلام الأدب الأندلسي الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري، حيث توفي سنة 426هـ/1035م. وقد تميز بمكانته الأدبية، ويعد من الأوائل الذين أدخلوا عنصر الخيال في النقد الأدبي بالأندلس، إذ جمع بين السرد القصصي والجدل الفكري في أعماله الأدبية. كما ترك إسهامات بارزة في الأدب الأندلسي، خاصة من خلال رسالته التي تعد من النصوص المؤسسة لفن السرد العربي في العصور الوسطى².

1.1.1- سياق الرسالة

تندرج رسالة التوابع والزوابع التي ألفها أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي الأندلسي ضمن النصوص الأدبية التي تجمع بين السرد القصصي والنقد الأدبي، إذ تتخذ الرسالة شكل رحلة خيالية إلى عالم الجن والشياطين، حيث يلتقي المؤلف بتوابع الشعراء والكتّاب، أي الشياطين التي يعتقد أنها تلهمهم الشعر والكتابة. وتتمحور الرسالة حول مناقشة مكانة الشعراء والكتّاب العرب من خلال حوارات يجريها المؤلف مع هذه التوابع، فيعرض من خلالها آراءه النقدية في الشعر القديم والحديث، ويتناول قضايا البلاغة والأسلوب الأدبي. أما من حيث البنية، فتقوم الرسالة على إطار سردي يتمثل في رحلة المؤلف، يتخلله سرد داخلي قائم على الحوارات والمناظرات مع

¹ حمداوي، سعيدة، آليات التحليل السردية، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي، 2016.

² أم السعد، حياة، التحليل السردية البنيوي من منظور جيرار جنيت، مجلة اللغة والأدب، جامعة

التوابع، مما يجعل النص غنيا بالعناصر السردية وقابلا للتحليل من الناحية السردية والنقدية¹.

2.1- أهمية الرسالة

- في التراث الأندلسي: تمثل تجربة أدبية مبتكرة، حيث لم يقتصر ابن الشهيد على النقد المباشر، بل وظّف الخيال السردى ليُضفي على نصه طابعاً قصصياً ممتعاً.
- في النقد الحديث: تُعدّ مادة خصبة لتطبيق أدوات التحليل السردى المعاصر، مثل مفاهيم جيرار جينيت (الحكاية، والزمن، والرؤية السردية).
- في تاريخ السرد العربى: تكشف عن تطور مبكر لفن الحكاية النقدية، وتُظهر قدرة الأدب الأندلسي على التجديد والانفتاح على أشكال تعبيرية جديدة.

3.1- ملامحها الأدبية والخيالية

تتسم رسالة التوابع والزوابع بلامح أدبية وخيالية تجعلها نصّاً مركباً يجمع بين المتعة الفنية والجدل النقدي. فهي تقوم على إطار قصصي يتخذ شكل رحلة خيالية إلى عالم الجن، حيث يلتقي ابن الشهيد بتوابع الشعراء والكتّاب، فيحوّل الحوار معهم إلى وسيلة لعرض آرائه النقدية ومواقفه الفكرية. هذا المزج بين الواقعي والمتخيل يمنح النص طابعاً أسطورياً، ويكشف عن قدرة المؤلف على توظيف الخيال لإضفاء حيوية على النقد الأدبي. كما أن لغتها تتسم بالجزالة والقدرة على التصوير، إذ يوظف ابن الشهيد أساليب بلاغية متنوعة مثل السخرية والمفارقة، مما يعكس وعياً فنياً متقدماً. وبذلك تصبح الرسالة نصّاً أدبياً ذا وظيفة مزدوجة: فهي من جهة حكاية خيالية ممتعة، ومن جهة أخرى خطاب نقدي يعكس تطور الفكر الأدبي في الأندلس.

2- نظرية الحكاية عند جيرار جينيت

1.2- مفاهيم أساسية: الحكاية (histoire) ، الخطاب (récit) ، السرد (narration)

في نظرية جيرار جينيت، هناك ثلاثة مفاهيم أساسية تشكّل أدوات التحليل السردى، وهي: الحكاية (histoire) ، الخطاب (récit) ، والسرد (narration)

¹ إبراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005.

- **الحكاية:(histoire)** تشير إلى سلسلة الأحداث والشخصيات كما تقع في زمنها الطبيعي داخل العالم الحكائي، أي المادة الخام التي يقوم عليها النص. هي البنية القصصية المجردة التي يمكن أن تُروى بطرق مختلفة.
- **الخطاب:(récit)** هو الطريقة التي تُعرض بها تلك الأحداث في النص، أي الشكل اللغوي والأسلوبي الذي يتخذه الكاتب عند سرد الحكاية. هنا يظهر الترتيب، والإيجاز أو التفصيل، والتقنيات البلاغية التي تجعل النص فنياً¹.
- **السرد:(narration)** يتعلق بالفعل السردى نفسه، أي العلاقة بين الراوي والنص والمتلقي، ومن يروي القصة وكيف تُروى. إنه مستوى يحدد موقع الراوي، وزاوية النظر، ومستويات السرد (إطار، داخلي، إلخ).

هذه المفاهيم الثلاثة تتيح التمييز بين المادة الحكائية الخام، والطريقة التي تُبنى بها داخل النص، والفعل السردى الذي يربط الراوي بالقارئ. وعند تطبيقها على رسالة التوابع والزوابع، يمكن الكشف عن كيفية بناء ابن الشهيد للأحداث، وكيف صاغها بلغة خيالية نقدية، وكيف وظّف الراوي ليقود القارئ عبر مستويات متعددة من السرد².

2.2- أدوات التحليل في إطار نظرية جيرارجنيت

تُعد أدوات التحليل السردى وسيلة دقيقة لفهم النصوص الأدبية، ومن أبرزها الزمن، والرؤية السردية، ومستويات السرد. فالزمن يتجلى في ثلاثة أبعاد أساسية: الترتيب الذي يكشف عن كيفية تنظيم الأحداث بين الاسترجاع والاستباق، والمدة التي تحدد إيقاع السرد بين الإيجاز والتفصيل، والتواتر الذي يوضح علاقة السرد بالحدث من حيث التكرار أو التفرد. أما الرؤية السردية فهي مرتبطة بموقع الراوي وزاوية نظره، أي من يروي الأحداث وكيف يراها، هل هو مشارك في القصة أم مجرد ناقل خارجي، وهل يقدم رؤية داخلية من منظور الشخصيات أم خارجية محايدة. وأخيراً، تأتي مستويات السرد لتكشف عن البنية المركبة للنص، حيث يمكن أن نجد سرداً إطارياً يحتضن حكايات

¹ عطية، مصطفى جمعة، السرد في التراث العربي، القاهرة: دار الفكر العربي، 2008.

² الحجري، إبراهيم، النص التراثي العربي: دراسة مقومات السرد في الرحلة، الدار البيضاء: دار الأمان،

داخلية، أو تداخلاً بين مستويات متعددة يثري النص ويمنحه عمقاً فنياً. هذه الأدوات الثلاثة تمنح الباحث إمكانية قراءة النص التراثي مثل رسالة التوابع والزوابع قراءة حديثة، تكشف عن بنيته السردية وتبرز تفاعله مع تقنيات الحكاية المعاصرة.

يعتمد التحليل السردى وفق تصور جيرار جنيت على مجموعة من الأدوات الأساسية التي تتيح فهم بنية النص، وفي مقدمتها الزمن السردى، والرؤية السردية، ومستويات السرد. فالزمن يتوزع إلى الترتيب (استرجاع/استباق)، والمدة (إيجاز/تفصيل)، والتواتر (تكرار/تفرد)، بينما تتعلق الرؤية السردية بموقع الراوى وزاوية نظره، أما مستويات السرد فتكشف عن تداخل الحكايات داخل النص الواحد، بين سرد إطار وسرد داخلي.

3- التحليل التطبيقي لرسالة التوابع والزوابع

1.3- الزمن السردى فى الرسالة

1.1.3- دراسة ترتيب الأحداث (الاسترجاع، الاستباق)

فى رسالة التوابع والزوابع يتجلى الزمن السردى فى طريقة تنظيم الأحداث بين الاسترجاع والاستباق، وهو ما يمنح النص حيوية خاصة ويكشف عن وعى ابن الشهيد بالبنية الحكائية. فالرسالة تبدأ برحلة خيالية إلى عالم الجن، ثم يعود الراوى إلى الماضى ليستحضر مواقف وتجارب سابقة، فيوظف الاسترجاع كألية لإعادة بناء الأحداث وإعطائها بعداً نقدياً. كما يظهر الاستباق حين يلمح الراوى إلى ما سيحدث لاحقاً أو يكشف عن نتائج قبل وقوعها، مما يخلق نوعاً من التشويق ويشد القارئ إلى متابعة السرد. هذا التلاعب بالزمن لا يقتصر على الترتيب فقط، بل يعكس قدرة النص على المزج بين الحكاية والجدل النقدى، حيث يصبح الزمن أداة فنية لإبراز المواقف الفكرية وإضفاء طابع قصصى على الحوار مع التوابع. بهذه الطريقة، يخرج النص من التسلسل الزمنى التقليدى ليقدم سرداً متداخلاً، يربط بين الماضى والحاضر والمستقبل فى بناء واحد¹. يتجلى الاسترجاع فى النص من خلال انتقال الراوى من الواقع إلى العالم المتخيل، كما يظهر فى قوله: «كنت أيام كتاب الهجاء، أحن إلى الأدباء، وأصبو إلى تأليف الكلام،

¹ دودية، عبد القادر، الأشكال السردية فى النثر الأندلسى، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس،

فاتبعت الدواوين، وجلست إلى الأساتيد، فنبض لي عرق الفهم، ودري شريان الفهم»،
حيث يعكس هذا المقطع انقطاعاً في التسلسل الزمني وبداية حكاية جديدة داخل
السرد.¹

2.1.3- تحليل المدة (الإيجاز، التفصيل)

في رسالة التوابع والزوابع تتضح مسألة المدة السردية من خلال التوازن بين
الإيجاز والتفصيل، وهو ما يمنح النص إيقاعاً خاصاً. ففي بعض المواضع يلجأ ابن الشهيد
إلى الإيجاز حين يمرّ سريعاً على أحداث أو مواقف لا يريد التوقف عندها طويلاً، فيكتفي
بالإشارة إليها أو تلخيصها، مما يسرّع وتيرة السرد ويُبقي القارئ مشدوداً إلى ما هو أهم.
وفي مواضع أخرى يعتمد على التفصيل، خاصة في الحوارات مع التوابع أو عند عرض
آرائه النقدية، حيث يطيل في الوصف ويستفيض في الشرح ليبرز موقفه الفكري ويضفي
على النص طابعاً جدلياً. هذا التفاوت بين الإيجاز والتفصيل يعكس وعياً فنياً لدى
المؤلف، إذ يستخدم المدة السردية كأداة لتوجيه اهتمام القارئ، فيُسرع السرد حين
يكون الهدف الانتقال، ويُبطله حين يكون الهدف التأمل أو النقد. وبذلك تصبح المدة
عنصرًا بنيويًا يساهم في بناء النص ويكشف عن طبيعته المركبة بين الحكاية والجدل
الأدبي حيث يعتمد ابن شهيد على التفصيل لإبطاء السرد، خاصة في الحوارات، كما في
قوله: «وارتكضنا حتى مضى الليل يسعى، وأتى الصبح قاطع الأسباب، فكأن النجوم في
الليل جيش دخلوا للكمون في جوف غاب...»، حيث يتوقف السرد عند الحوار لعرض
موقف نقدي، مما يطيل زمن الحكاية مقارنة بزمن الحدث.²

تتجلى المدة السردية في رسالة التوابع والزوابع من خلال التوازن بين الإيجاز
والتفصيل، حيث يلجأ ابن شهيد إلى الإيجاز في عرض بعض الأحداث الثانوية، مكتفياً
بالإشارة إليها دون توسع، مما يسرع وتيرة السرد. في المقابل، يعتمد التفصيل في الحوارات
مع التوابع، فيطيل في العرض والوصف، خاصة عند تقديم آرائه النقدية. ويعكس هذا

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق: بطرس البستاني، ط1، بيروت: دار صادر،

1996، ص 88

² ابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق، ص 103

التفاوت وعيا فنيا باستخدام الزمن كأداة لتوجيه انتباه القارئ، حيث يبطل السرد عند التأمل، ويسرعه عند الانتقال.

3.1.3- التواتر (التكرار، الحدث المفرد)

في رسالة التوابع والزوابع يظهر مفهوم التواتر السردى بوضوح من خلال التناوب بين عرض الأحداث مرة واحدة وبين تكرارها بصيغ مختلفة. فهناك أحداث تُروى باعتبارها حدثاً مفرداً، مثل اللقاء الأول بالزوابع أو الدخول إلى عالم الجن، حيث يكتفي الراوي بسردها مرة واحدة لتثبيت الإطار العام للحكاية. وفي المقابل، نجد التكرار حاضراً في الحوارات مع التوابع، إذ يعيد ابن الشهيد طرح المواقف النقدية أو المقارنات بين الشعراء أكثر من مرة، لكن بأساليب مختلفة، ليؤكد على موقفه ويمنح النص طابعاً جدلياً متواصلاً. هذا التكرار لا يُفقد النص حيويته، بل يضفي عليه إيقاعاً خاصاً ويُبرز أهمية القضايا التي يطرحها المؤلف. ومن خلال الجمع بين الحدث المفرد والتكرار، ينجح ابن الشهيد في بناء نص متعدد الطبقات، يوازن بين السرد القصصي والمتن النقدي، ويُظهر وعيه باستخدام الزمن كأداة فنية لإبراز المعنى. يظهر التواتر التكراري في تأكيد فكرة ارتباط الشاعر بتابعه، كما في قوله: «أفي كل عام مصرع لعظيم، أصاب المنايا حادثي وقديمي، هوى قمرا قيس بن عيلان أنفا، وأوحش من كلب مكان زعيم...»، وهو تكرار يعزز الفكرة المركزية للنص ويمنحها بعداً دلالياً واضحاً¹.

2.3- الرؤية السردية

1.2.3- موقع الراوي: هل هو مشارك أم خارجي؟ في رسالة التوابع والزوابع يتضح أن الراوي يتخذ موقعاً مركباً بين المشاركة والحياد الخارجي. فهو من جهة مشارك في الأحداث، إذ يقدم نفسه كرجل يدخل عالم الجن ويلتقي بالتوابع، ويصف ما يراه ويسمعه وكأنه جزء من التجربة الحكائية. ومن جهة أخرى، يظهر أحياناً كراي خارجي يعلق على ما يجري ويقدم أحكاماً نقدية حول الشعراء والكتاب، فيتحول من شخصية داخل القصة إلى ناقد يوجه القارئ نحو دلالات معينة. هذا التداخل بين الراوي المشارك والراوي الخارجي يمنح النص طابعاً مزدوجاً، حيث يجمع بين الحكاية الخيالية التي

¹ ابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق، ص 100

يعيشها المؤلف وبين الخطاب النقدي الذي يعلّق به على التراث الشعري، مما يعكس وعيًا سرديًا متقدّمًا وقدرة على التحكم في مستويات السرد المختلفة.

2.2.3- زاوية النظر: داخلية أم خارجية؟ في رسالة التوابع والزوابع تتضح زاوية النظر السردية من خلال تداخل الرؤية الداخلية والخارجية. فعندما يصف ابن الشهيد رحلته إلى عالم الجن، يتبنى زاوية داخلية لأنه يروي الأحداث من موقع المشاركة، فينقل للقارئ ما يراه ويسمعه وكأنه يعيش التجربة بنفسه. هذه الرؤية الداخلية تمنح النص طابعًا حيويًا وتدخل القارئ في أجواء الحكاية الخيالية. وفي المقابل، حين ينتقل إلى التعليق على الشعراء أو إصدار أحكام نقدية، يتخذ زاوية خارجية، إذ يبتعد عن الحدث ويقدمه من منظور الناقد الذي يقيّم ويحلل. هذا التناوب بين الرؤية الداخلية والخارجية يعكس وعيًا سرديًا متقدّمًا، ويظهر قدرة النص على الجمع بين الحكاية الفنية والخطاب النقدي، مما يمنحه عمقًا مضاعفًا ويجعل القارئ يتنقل بين متعة السرد ومتعة الفكر. فتتجلى الرؤية السردية الداخلية من خلال مشاركة الراوي في الأحداث، كما في قوله: «فقال لي زهير: إلى متى تتوق نفسك بعد من الجاهلين؟ قلت: كفاني من رأيت، اصرف وجه قصدنا إلى صاحب أبي تمام. فركضنا ذات اليمين حينًا، ويشد في إثرنا فارس كأنه الأسد، على فرس كأنها العقاب، وهو في عدوه ذلك ينشد...»، حيث يظهر الراوي كشخصية داخل الحكاية، لا مجرد ناقل خارجي¹.

3.3- مستويات السرد

1.3.3- السرد الإطار: في رسالة التوابع والزوابع يتجلى السرد الإطار في كون الرسالة نفسها تشكّل الحكاية الكبرى التي تحتضن باقي الحكايات الداخلية. فالمؤلف يقدم نفسه في موقع الراوي الذي يخوض رحلة خيالية إلى عالم الجن، حيث يلتقي بالتوابع والزوابع ويتحاور معهم. هذا الإطار السردية هو الذي يمنح النص وحدته، إذ يربط بين البداية التي تنطلق من مغامرة الراوي، وبين سلسلة اللقاءات والحوارات التي تشكّل المتن الحكائي. ومن خلال هذا السرد الإطار، يوفّر ابن الشهيد مساحة لدمج الحكاية الخيالية بالخطاب النقدي، فيجعل من الرحلة إلى عالم الجن وسيلة لعرض آرائه حول الشعراء والكتاب.

¹ ابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق، ص 96

بذلك يصبح السرد الإطار بمثابة البنية الحاضنة التي تمنح النص انسجامًا، وتسمح بتعدد الأصوات وتداخل المستويات السردية في آن واحد. يتجسد السرد الإطاري في الرحلة إلى عالم الجن، كما في قوله: «حضرت أنا أيضا وزهير مجلسا من مجالس الجن، فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من المعاني...»، حيث يشكل هذا المقطع الإطار العام الذي يحتضن باقي الحكايات¹.

2.3.3- السرد الداخلي: (حكايات التوابع والزوابع) في رسالة التوابع والزوابع يتجلى السرد الداخلي في الحكايات التي يرويها ابن الشهيد على لسان التوابع والزوابع أنفسهم. فبعد أن يضع القارئ داخل الإطار العام للرحلة الخيالية، يفتح المجال أمام هذه الكائنات لتسرد قصصها وتعرض مواقفها، فيتحول النص إلى فضاء متعدد الأصوات. هذا السرد الداخلي يضيف على الرسالة طابعًا حواريًا، حيث تتداخل الحكاية مع النقد، ويصبح كل تابع أو زوبعة بمثابة وسيط يقدم رؤية معينة عن الشعراء والكتاب. ومن خلال هذه الحكايات، ينجح ابن الشهيد في إدخال القارئ إلى عالم متخيل غني بالتفاصيل، لكنه في الوقت نفسه يوظف ذلك لطرح قضايا أدبية وفكرية حقيقية. وهكذا يشكل السرد الداخلي قلب الرسالة، إذ يمنحها عمقًا فنيًا ويكشف عن براعة المؤلف في المزج بين الحكاية الخيالية والخطاب النقدي. يتجلى السرد الداخلي من خلال الحكايات التي يرويها التوابع، كما في قوله: «وترى الطير على آثارنا رأي عين، ثقة أن ستمار»، حيث ينتقل السرد من الإطار العام إلى حكاية فرعية².

3.3.3- التداخل بين المستويات: في رسالة التوابع والزوابع يتضح أن هناك تداخلًا بين مستويات السرد يمنح النص ثراءً فنيًا وبنية مركبة. فالسرد الإطاري، الذي يتمثل في رحلة ابن الشهيد إلى عالم الجن، يحتضن بداخله سردًا داخليًا يتمثل في الحوارات مع التوابع والزوابع. غير أن العلاقة بينهما ليست علاقة فصل صارم، بل هناك تداخل مستمر؛ إذ ينتقل الراوي من دوره كشخصية داخل الحكاية إلى دوره كناقذ يعلق ويحلل، فيمزج بين الحكاية والجدل النقدي. هذا التداخل يجعل القارئ يعيش تجربة مزدوجة: من جهة يتابع مغامرة خيالية ذات طابع قصصي، ومن جهة أخرى يتلقى خطابًا نقديًا يعكس موقف

¹ ابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق، ص 132

² ابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق، ص 132

المؤلف من الشعراء والكتّاب. وبذلك يصبح النص فضاءً متعدد الأصوات والمستويات، حيث يتقاطع السرد الفني مع النقد الأدبي، مما يعكس وعي ابن الشهيد بقدرته السرد على احتضان الفكر وتقديمه في قالب ممتع ومبتكر¹.

يتميز النص بتداخل واضح بين مستويات السرد، حيث يشكل السرد الإطاري المتمثل في رحلة ابن شهيد إلى عالم الجن البنية الحاضنة للنص، بينما تتفرع عنه حكايات داخلية تتمثل في الحوارات مع التوابع. غير أن العلاقة بينهما ليست منفصلة، بل يشهد النص انتقالاً مستمراً بين السرد والحوار والتعليق النقدي، مما يخلق نصاً متعدد الأصوات يجمع بين الحكاية والجدل الأدبي في آن واحد.

يتبين من خلال العودة إلى نص رسالة التوابع والزوابع لـ ابن شهيد الأندلسي أن التحليل السردى لا يظل مجرد إسقاط نظري، بل يجد ما يدعمه داخل البنية النصية نفسها. إذ يكشف انتقال الراوي من عالم الواقع إلى عالم الجن عن بنية استرجاعية واضحة تؤسس لانفصال سردي يفتح المجال لحكايات متعدّدة. كما تعكس الحوارات المطوّلة مع التوابع اعتماد التفصيل كآلية لإبطاء السرد وإبراز البعد النقدي داخل النص. ويظهر التواتر السردى في تكرار فكرة ارتباط الشاعر بتابعه في مواضع متعددة من الرسالة، وهو ما يعزز وحدة الفكرة المركزية فيها. ومن جهة أخرى، يكشف بناء الرحلة إلى عالم الجن عن وجود سرد إطاري يحتضن حكايات داخلية متداخلة. وبذلك يتأكد أن مفاهيم جيرار جنيت لا تُفرض على النص فرضاً، بل تنبثق من داخله وتجد سنداً في بنيته الأصلية.

4- النتائج والمناقشة

1.4- إبراز مدى انسجام النص التراثي مع أدوات التحليل السردى الحديث

يتضح من خلال تحليل رسالة التوابع والزوابع أن النص التراثي قادر على الانسجام مع أدوات التحليل السردى الحديث التي وضعها جيرار جنيت. فالبنية السردية في الرسالة، القائمة على الإطار الحكائي والحوارات الداخلية، تسمح بتطبيق مفاهيم الحكاية والخطاب والسرد بشكل واضح، حيث يمكن التمييز بين المادة الحكائية (رحلة

¹ يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي: البنية والدلالة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1989.

الراوي إلى عالم الجن)، وبين طريقة عرضها (اللغة البلاغية والخيال). وبين فعل السرد نفسه (موقع الراوي وزاوية نظره). كما أن الزمن السردى يظهر في الترتيب غير الخطي للأحداث عبر الاسترجاع والاستباق، وفي المدة من خلال التفاوت بين الإيجاز والتفصيل، وفي التواتر عبر المزج بين الحدث المفرد والتكرار. أما الرؤية السردية فتتجلى في تنقل الراوي بين المشاركة الداخلية والتعليق الخارجي، مما يعكس تعدد مستويات النظر. وأخيراً، فإن مستويات السرد تتداخل بين الإطار والحوارات الداخلية، لتكشف عن نص متعدد الطبقات. كل هذه العناصر تؤكد أن النص التراثي، رغم انتمائه إلى سياق ثقافي قديم، يملك قابلية كبيرة للقراءة بأدوات السرد الحديثة، وأنه ينسجم معها انسجاماً يبرز ثراءه الفني وعمقه النقدي.

2.4- الكشف عن خصوصية السرد الأندلسي مقارنة بالنصوص السردية الأخرى

تكشف رسالة التوابع والزوابع عن خصوصية واضحة في السرد الأندلسي مقارنة بالنصوص السردية الأخرى في التراث العربي. فهي لا تقتصر على الحكاية الخيالية أو النقد المباشر، بل تمزج بينهما في بناء واحد، حيث يصبح الخيال وسيلة لطرح قضايا أدبية وفكرية. هذه الخصوصية تتجلى في اعتماد ابن الشهيد على الرحلة إلى عالم الجن كإطار سردي مبتكر، يتيح له إدخال أصوات متعددة عبر التوابع والزوابع، وهو ما يمنح النص طابعاً حوارياً متنوعاً يختلف عن السرد المشرقي الذي غالباً ما يميل إلى المباشرة أو التركيز على الحكاية وحدها. كما أن السرد الأندلسي هنا يعكس البيئة الثقافية الخاصة بالأندلس، حيث يتداخل الأدب مع النقد في نص واحد، ويظهر وعي المؤلف بضرورة التجديد والابتكار في التعبير. وبذلك يمكن القول إن خصوصية السرد الأندلسي تكمن في قدرته على الجمع بين المتعة الفنية والجدل النقدي، وفي توظيف الخيال كأداة لإبراز الموقف الفكري، مما يجعله متميزاً عن غيره من النصوص السردية في التراث العربي.

3.4- مناقشة حدود تطبيق نظرية جنيت على نصوص تراثية عربية

إن تطبيق نظرية جبرار جنيت على نصوص تراثية عربية مثل رسالة التوابع والزوابع يفتح آفاقاً جديدة لفهم بنيتها السردية، لكنه في الوقت نفسه يواجه بعض الحدود التي ينبغي التنبيه إليها¹. فمن جهة، تسمح مفاهيم الحكاية والخطاب والسرد،

¹ الشاروني، يوسف، فن السرد في التراث العربي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

وأدوات الزمن والرؤية السردية ومستويات السرد، بالكشف عن عمق النص وإبراز تداخله بين الحكاية الخيالية والخطاب النقدي، وهو ما يثبت أن النص التراثي قابل للقراءة بأدوات حديثة. ومن جهة أخرى، هناك حدود تتعلق بالاختلاف الثقافي والتاريخي؛ إذ إن النصوص التراثية العربية كُتبت في سياق مغاير تمامًا للسياق الذي وُلدت فيه نظرية جنيت، مما يجعل بعض المفاهيم بحاجة إلى تكيف أو إعادة تأويل حتى تنسجم مع طبيعة النص العربي. كما أن النصوص التراثية كثيرًا ما تمزج بين السرد والأنواع الأدبية الأخرى كالخطابة والنقد والشعر، وهو ما قد يربك التصنيف الصارم الذي تقترحه النظرية. لذلك يمكن القول إن تطبيق نظرية جنيت على النصوص التراثية ليس مجرد إسقاط آلي، بل هو عملية نقدية واعية تتطلب مراعاة خصوصية الثقافة العربية، وفي الوقت نفسه الاستفادة من الأدوات الحديثة.

على الرغم من فاعلية أدوات جيرار جنيت في تحليل النص، إلا أن تطبيقها على نصوص تراثية عربية يواجه بعض الحدود، نظرًا لاختلاف السياق الثقافي والتاريخي الذي نشأت فيه هذه النصوص. كما أن رسالة التوابع والزوابع تمزج بين السرد والنقد والخطابة، وهو ما قد لا تنسجم معه التصنيفات الصارمة للنظرية. لذلك فإن تطبيق هذه الأدوات لا ينبغي أن يكون إسقاطًا آليًا، بل قراءة واعية تراعي خصوصية النص التراثي حيث اعتمد هذا التحليل على الربط بين المفاهيم السردية عند جيرار جنيت والبنية النصية لرسالة التوابع والزوابع، من خلال الاستناد إلى شواهد نصية مباشرة تُبرز كيفية تجلّي الزمن السردى، والرؤية السردية، ومستويات السرد داخل النص. وقد سمح هذا المنهج بالمزاوجة بين التحليل النظري والتطبيق العملي، بما يضمن قراءة علمية دقيقة للنص التراثي.

الخاتمة:

يتضح أن النص التراثي قادر على الانسجام مع أدوات التحليل السردى الحديث، إذ تسمح مفاهيم جنيت مثل الحكاية والخطاب والسرد بالكشف عن بنيته المركبة وتداخل مستوياته.

أظهر تحليل الزمن السردى أن الرسالة تعتمد على الاسترجاع والاستباق، وتوازن بين الإيجاز والتفصيل، وتمزج بين الحدث المفرد والتكرار، مما يمنحها إيقاعاً متنوعاً. تبين أن الرؤية السردية في النص مزدوجة، حيث يتنقل الراوي بين المشاركة الداخلية والتعليق الخارجي، ويستخدم زاوية نظر داخلية وخارجية في آن واحد. كشفت دراسة مستويات السرد عن وجود إطار عام يحتضن حكايات داخلية، مع تداخل مستمر بينهما يثري النص ويمنحه عمقاً فنياً.

أظهر التحليل خصوصية السرد الأندلسي في قدرته على المزج بين الحكاية الخيالية والجدل النقدي، وهو ما يميزه عن النصوص السردية الأخرى في التراث العربي. وأخيراً، بيّن البحث أن تطبيق نظرية جنيت على النصوص التراثية يظل مثمرًا، لكنه يحتاج إلى مراعاة خصوصية السياق الثقافي العربي، حيث تمتزج الأجناس الأدبية وتتداخل الوظائف الفنية والفكرية.

تكشف رسالة التواضع والزواضع عن خصوصية مميزة في السرد الأندلسي، إذ تمزج بين الحكاية الخيالية والخطاب النقدي في بناء واحد، حيث يتحول الخيال إلى أداة لعرض المواقف الفكرية. ويمنح هذا التداخل النص طابعاً حوارياً متعدد الأصوات، يجمع بين متعة السرد وعمق التحليل، مما يعكس وعياً أدبياً متقدماً لدى ابن شهيد.

يمكن اقتراح آفاق بحثية مستقبلية تنطلق من نتائج هذا التحليل، وتفتح المجال أمام دراسات أوسع للنصوص التراثية العربية في ضوء أدوات السرد الحديثة:

- تطبيق أدوات سردية أخرى مثل تحليل الأصوات السردية المتعددة (البوليفونية) أو دراسة التناص، على نصوص تراثية متنوعة كالمقامات أو كتب الرحلات.
- المقارنة بين النصوص الأندلسية والمشرقية من حيث البنية السردية، للكشف عن خصوصيات كل سياق ثقافي وأدبي.

- دراسة التداخل بين الأجناس الأدبية (السرد، الشعر، النقد، الخطابة) في النصوص التراثية، وكيف يمكن لأدوات السرد الحديثة أن تبرز هذا التداخل.
- تحليل البنية الزمنية في نصوص أخرى مثل السير الشعبية أو الحكايات الصوفية، لمعرفة مدى تنوع استخدام الاسترجاع والاستباق والإيجاز والتفصيل.
- توسيع نطاق البحث إلى النصوص غير الأدبية (مثل كتب التاريخ أو السير الذاتية التراثية) لمعرفة كيف يوظف السرد في بناء خطاب معرفي أو سياسي.

قائمة المراجع:

- إبراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار القلم، 1984.
- ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق: بطرس البستاني، ط1، بيروت: دار صادر، 1996.
- أم السعد، حياة، التحليل السردى البنيوي من منظور جيرار جنيت، مجلة اللغة والأدب، جامعة وهران، 2014.
- الحجري، إبراهيم، النص التراثي العربي: دراسة مقومات السرد في الرحلة، الدار البيضاء: دار الأمان، 2012.
- حمداوي، سعيدة، آليات التحليل السردى، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي، 2016.
- دودية، عبد القادر، الأشكال السردية في النثر الأندلسي، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017.
- سعيد، يقطين، انفتاح النص الروائي: البنية والدلالة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1989.
- الشاروني، يوسف، فن السرد في التراث العربي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
- عطية، مصطفى جمعة، السرد في التراث العربي، القاهرة: دار الفكر العربي، 2008.
- مولاي، سناء، التحليل السردى عند جيرار جنيت، مجلة النص، 2015.